فصلنامه تحقیقات جدید در علوم انسانی
Human Sciences Research Journal
دوره چهارم، شماره ۲۸، تابستان ۱۳۹۹، صص ۳۲-۱۹
New Period 4, No 28, 2020, P 19-32
شماره شاپا (۲۴۷۶-۷۰۱۸) ISSN (2476-7018)

الطوائف الدينية وأثرها فى تماسك المجتمع العراقى خلال عهد المماليک ۱۷۴۹-۱۸۳۱

أ.م. د. وائل جبار جودة النداوى[1]. د. أرشد حمزة حسن[2]
۱. كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة المثنى
۲. كلية الأمام الكاظم –ع– للعلوم الإسلامية /بابل

ملخص البحث

تضمن البحث مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة وضح المحور الاول اثر الدين فى تطور الجانب الاجتماعى فى العراق خلال عهد المماليک فعلى الرغم من تنوع التركيب الدينى فقد عاش الجميع بحالة من الاستقرار والالفة والتأزر، بفضل مبادئ الدين الاسلامى السمحاء التى دعت الى احترام العقائد الدينية لترصين التماسک الاجتماعى، وتابع المحور الثانى المساجد ودورها فى ترسيخ الجانب المعرفى للمجتمع العراقى خلال عهد المماليک ۱۷۴۹-۱۸۳۱، وجرى الحديث عن اهم المساجد ودورها فى إثراء العادات والتقاليد للمجتمع العراقى و بين المحور الثالث دور الطائفتان اليهودية والمسيحية ومؤسساتها الدينية فى تماسک المجتمع فى العراق و من نتيجة التسامح والتساهل الذى عاش اليهود فى ظله أبان العهود الاسلامية، أن كثرت معابدهم فى المدن العراقية الرئيسة، فكان فى بغداد، فى منتصف القرن التاسع عشر، تسعة كنس، ومدرسة دينية، و فى الوقت نفسه فى الموصل، كنيس واحد ومدرسة، الى جانب بعض المزارات الدينية خارج المدن، و مارس المسيحيون طقوسهم وعاداتهم ومعتقداتهم الدينية فى بيوت تعرف بالكنائس او المعابد او الاديرة، التى هى بمثابة بيوت مركزها الكنيسة، تجمع فيها الرهبان لغرض الصلاة المشتركة والتقرب الى الله، وتلک الطقوس والعادات لا تثير حفيظة الطوائف الاخرى بل بالعكس فقد كانت الطائفة المسيحية تشارک تلک الطوائف بأفراحهم واحزانهم.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-07]

Summary

The research included an introduction ،three axes ،and a conclusion. The first axis clarified the impact of religion on the development of the social aspect in Iraq during the Mamluk era. Despite the diversity of religious composition ،everyone lived in a state of stability ،familiarity and synergy ، thanks to the principles of the noble Islamic religion that called for respecting religious beliefs to consolidate social cohesion ،The second axis followed the mosques and its role in consolidating the knowledge side of Iraqi society during the Mamluk era. In which the Jews lived in the shadow of Islamic times ،when their temples abounded in the main Iraqi cities ،so in Baghdad ،in the middle of the nineteenth century ،nine synagogues and a religious school ،and in Mosul ،at the same time ،one synagogue and a school ،along with some religious shrines Outside the cities ،Christians practiced their rituals ،customs ،and religious beliefs in homes known as churches ،temples ،or monasteries ،which are like homes centered by the church ،in which they gather The monks for the purpose of joint prayer and drawing closer to God ،and those rituals and customs do not arouse the ire of other sects ،but on the contrary ،the Christian community shared these sects with their joys and sorrows.

المقدمة

مما لاشك فيه إن المجتمع العراقی ومنذ قرون طويلة تعيش على ارضه مختلف الطوائف والديانات والقوميات التی انصهرت تحت مسمی الدولة العراقية، وان اختلفت المسميات على مر العهود فكان يسمی ارض العراق تارة، وتارة أخری يسمی ارض الرافدين أو الفراتين، وكان للديانات اليهودية والمسيحية و الإسلامية وعلى مدی التاريخ دوراً مهماً فی رسم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للعراق وقد سلطت معظم الدراسات الضوء على ذلك التاريخ، إلا إن الجانب الاجتماعی وخاصة أثر الدين فيها خلال عهد المماليك فی العراق لم يحظ بالبحث والدراسة الكافية.

تضمن البحث مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة وضح المحور الاول اثر الدين فی تطور الجانب الاجتماعی فی العراق خلال عهد المماليك فعلی الرغم من تنوع التركيب الدينی فقد عاش الجميع بحالة من الاستقرار والالفة والتأزر، بفضل مبادئ الدين الاسلامی السمحاء التی دعت الی احترام العقائد الدينية لترصين التماسك الاجتماعی، اذ سار المسلمون على قاعدة اساسية فرضتها عليهم طبيعة دينهم وهی، عدم التعرض لمختلف العبادات فلم يساء الی متعبد فی عبادته او متدين فی ديانته، فيقوم المسجد الی جوار الكنيسةاو المعبد، لا فرق فی نظرهم فی حرمة وقدسية مراكز العبادة، شعارهم جميعاً الدين لله، وتابع المحور الثانی المساجد ودورها فی ترسيخ الجانب المعرفی للمجتمع العراقی خلال عهد المماليك ١٧٤٩-١٨٣١، وجری الحديث عن اهم المساجد ودورها فی إثراء العادات والتقاليد للمجتمع العراقی وخاصة فی مدينة بغداد على

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-07]

اعتبار انها تمثل سلطة القرار فى العراق والتى كان لها دوراً مهماً فى إرساء دعائم الحياة الفكرية فى العراق أبان عهد المماليك.

بين المحور الثالث دور الطائفتان اليهودية والمسيحية ومؤسساتها الدينية فى تماسك المجتمع فى العراق و من نتيجة التسامح والتساهل الذى عاش اليهود فى ظله أبان العهود الاسلامية، أن كثرت معابدهم فى المدن العراقية الرئيسة، فكان فى بغداد، فى منتصف القرن التاسع عشر، تسعة كنس، ومدرسة دينية، و فى الموصل، فى الوقت نفسه، كنيس واحد ومدرسة، الى جانب بعض المزارات الدينية خارج المدن، مثل قبر العزيز (عزرا) على دجلة، قرب مدينة " العمارة" وقبر ذى الكفل (حزقيال) فى ناحية الكفل الى الجنوب من مدينة الحلة، مع أن الأخير يقع فى مسجد إسلامى قديم له مكانته لدى المسلمين، ورغم هذا، فان الأسرة العربية التى تولت أدارة المسجد والأشراف عليه، كانت تسمح لأولئك اليهود بزيادة المكان دونما اى مقابل، و مارس المسيحيون طقوسهم وعاداتهم ومعتقداتهم الدينية فى بيوت تعرف بالكنائس او المعابد او الاديرة، التى هى بمثابة بيوت مركزها الكنيسة، تجمع فيها الرهبان لغرض الصلاة المشتركة والتقرب الى الله، وتلك الطقوس والعادات لا تثير حفيظة الطوائف الاخرى بل بالعكس فقد كانت الطائفة المسيحية تشارك تلك الطوائف بأفراحهم واحزانهم، والله ولى التوفيق.

أولاً: اثر الدين فى تطور الجانب الاجتماعى فى العراق خلال عهد المماليك ١٧٤٩-١٨٣١.

شهد العراق، خلال الحقبة الممتدة من أوائل القرن الثامن عشر حتى الربع الأول من القرن التاسع عشر تقريباً، تشابك جملة من الظواهر السياسية الاجتماعية، تركت آثارها الواضحة على ممارسة الطقوس الدينية المنضوية تحت مظلة المجتمع العراقى، فضلاً عن الحركة الفكرية فيها آنذاك [١]. فى الواقع إن العلاقات السياسية التى كانت بين القوى الاجتماعية القائمة منذ مطلع العصر العثمانىّ، أخذت تستنفد مبررات قيامها، فمثلاً تحولت فرقة الانكشارية إلى مجرد قوة مسلحة لا تجيد غير التصادم والتطاحن فى ما بينها، وبقى المجال خالياً لقوى القبائل المحلية، بيد أن تلك القبائل لم يكن نشاطها ليعنى شيئاً بالنسبة لذلك الواقع، فضلاً عن قيام فئات جديدة فى المجتمع (التجار وأصحاب الحرف) بالاهتمام بما يجرى حولها من صراع بحكم ما كان يؤديه ذلك الصراع من ضرر بمصالحها الاقتصادية، فظهرت التجمعات الساندة لها وكانت تنظيمات (الأصناف) و(الطرائق الصوفية) أبرز عناصر تلك التجمعات، وكانت فئتا (أهل العلم) و(أهل الأدب) تمثلان عنصراً مكملاً لثقافتها وقيمها الجديدة [٢].

وساعدت طبيعة حدود العراق المفتوحة، ووجود مدن العتبات المقدسة فيه التى كانت مراكز جذب للمسلمين على اختلاف انتماءاتهم المذهبية من كل بقاع العالم، ساعدت على تفسير دوافع العناصر الأجنبية فى الهجرة إليه [٣]. وأن الصراع العثمانىّ –الفارسىّ واحتدام السجالات بين الجانبين كان قد أحال العراق إلى ساحة صراع بينهما مؤثر بذلك فى تركيبة المجتمع العراقىّ وتنظيم الإسلام فيه، إذ عرَّض ظهور الفرس الصفويين سكان العراق عموماً، ومدن (كربلاء، والنجف، وبغداد، والبصرة، والحلّة) خصوصاً إلى مؤثرات

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-07]

فارسية كثيرة [٤]، وفى مطلع القرن الثامن عشر كان أغلب الفرس الموجودين هم من التجار وأصحاب المصالح الاقتصادية، إذ لم يكن عدد كبير من الطلاب والعلماء الفرس فى العراق حينذاك، لأن المراكز العلمية الشيعية الرئيسة كانت فى إيران، ولم يأخذ العلماء والطلاب الفرس بالمجيء الى العراق فى أعداد كبيرة إلاَّ فى بداية ذلك القرن [٥] فانتقل بذلك مركز الدراسات الشيعية من إيران إلى العراق، وتحديداً إلى كربلاء أولاً ثم إلى النجف (التابعتين إلى الحلّة فى تلك المرحلة)، وانتشرت اللغة الفارسية حينذاك إنتشاراً واسعاً فى مختلف المدن الشيعية، وأن الدولة العثمانية كانت قد ناصرت وراعت لغتها والمتكلمين بها من الموظفين، فقويت التركية إلى حد كبير، إلاَّ أن ذلك لم يكن ليعنى بالضرورة إهمال اللغة العربية [٦]، فمن المعروف أن الدولتين (الفارسية والعثمانية) كانتا فى سعى مستمر لاقتباس الثقافة وأخذها من العراق ومن غيره من البلاد العربية بطريق الاتصال بالعلوم والآداب، مما سهل لهما تكوين ثقافة علمية وأدبية، أدت إلى أن تستقل كل دولة بما توفر لها من تلك العلوم والآداب، مما يعنى أن الاحتلال لم يكن مقصوراً على الجوانب السياسية والاقتصادية، بل يعنى تنافس وتزاحم واكتساب نصيب وافر من الثروة الأدبية [٧].

من المعروف تاريخياً إن المراقد والمقامات الدينية قد جسدت أدواراً مهمة فى ثقافات الشعوب والأمم وأكدت على الترابط الروحى والتماسك الوجدانى بين أفراد المجتمع الواحد ونجد ذلك ليس على مستوى الديانة الإسلامية فحسب بل تجسد ذلك فى معتقدات الديانات السماوية الأخرى ووفق المقاييس والأعراف التى نادت بها تلك الديانات حتى شاع مفهوم المراقد فى ثقافات الشعوب بشكل عام وخاص على السواء، بل والأكثر من ذلك انه ارتبط برحلة الإنسان الطويلة تأريخياً إلى الحد الذى اقترن به المرقد المقدس على استلهام المعانى السامية فى الترابط المعنوى والروحى بين الإنسان وما يعتقد او ما يؤمن به [٨].

تألف المجتمع العراقى من عدة ديانات يأتى فى مقدمتها الدين الاسلامى، إذ شكل المسلمون الغالبية العظمى من السكان تليهم ديانات مختلفة كاليهود، والنصارى، والصابئة، واليزيدية، وعقائد أخرى [٩] على الرغم من تنوع التركيب الدينى فقد عاش الجميع بحالة من الاستقرار والالفة والتأزر، بفضل مبادئ الدين الاسلامى السمحاء التى دعت الى احترام العقائد الدينية لترصين التماسك الاجتماعى، اذ سار المسلمون على قاعدة اساسية فرضتها عليهم طبيعة دينهم وهى، عدم التعرض لمختلف العبادات فلم يساء الى متعبد فى عبادته او متدين فى ديانته، الى جانب ذلك فأن الحرية الدينية مضمونة بالدستور ومكفولة بالتوافق الاجتماعى الذى احترمه البغداديون منذ اقدم الازمنة، فيقوم المسجد الى جوار الكنيسة او المعبد، لا فرق فى نظرهم فى حرمة وقدسية مراكز العبادة، شعارهم جميعاً الدين لله، لذلك امتزجت هذه الاديان بدرجة عالية من التألف تجمعها رابطة الشعور المشترك بالوحدة الوطنية العراقية [١٠].

امتازت ولايات العراق الثلاث (بغداد، الموصل، البصرة)خلال عهد المماليك وخاصة فى عهد الوالى داود باشا بكثرة المؤسسات الدينية للمسلمين مثل المساجد والجوامع والتكايا والحسينيات والمدارس ومجالس الوعظ فضلاً عن الكنائس والاديرة واماكن العبادة التابعة إلى الاقلية اليهودية [١١]، وقد نالت هذه المؤسسات قدسية كبيرة من مختلف الطوائف الإسلامية والأقليات الدينية الأخرى، وتعددت أهدافها فهى فضلاً عن

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-07]

كونها أماكن لإقامة الشعائر الدينية فإنها كانت بمثابة مدارس لتدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية ولتعليم القراءة والكتابة للمبتدئين ومراكز للاجتماعات العامة يلتقى فيها أبناء المجتمع فى عموم العراق فى الأعياد الدينية والمناسبات الاجتماعية والوطنية على حد سواء[١٢]،

أما بالنسبة فى ولاية بغداد التى تعد المركز الاقتصادى والسياسى والاجتماعى فى العراق فسيكون تركيز موضوع الدراسة عليها تقريباً، فقد ازداد عدد المؤسسات الدينية فى بغداد لزيادة عدد السكان المسلمين فيها، وقيام البعض بإنشاء هذه المؤسسات لاسيما أهل الخير والإحسان وأبناء الطبقة الميسورة، فضلاً عن دور السلطة الحاكمة فى هذا المجال[١٣]، فى ترميم المساجد القديمة وإنشاء أخرى جديدة. ومن أشهر الجوامع القديمة " جامع الإمام موسى الكاظم ومحمد الجواد (عليهما السلام) وجامع الإمام أبو حنيفة وجامع الشيخ معروف وجامع براثا وجامع الشيخ عبد القادر الكيلانى[١٤]، ويشرف على المؤسسات الدينية للمسلمين شريحة اجتماعية ودينية تتألف من الفقهاء والوعاظ والخطباء، يقومون بإرشاد الناس ووعظهم عن طريق الخطب الى أهمية الالتزام بمبادئ الدين الإسلامى والسنة النبوية المطهرة[١٥].

ثالثاً: المساجد ودورها فى ترسيخ الجانب المعرفى للمجتمع العراقى خلال عهد المماليك ١٧٤٩-١٨٣١

كان للمسجد عبر التاريخ الإسلامى أدوار عظيمة الشأن، بالغة التأثير فى المجتمع الإسلامى، فكان البيتَ الجامعَ الذى يختلف إليه المسلمون للعبادة، ولتسيير شؤونهم العامة، ولتدبير أمور دنياهم، وهو فى الوقت نفسه مؤسسةٌ تعليميةٌ وتثقيفيةٌ يفد إليها المسلمون لتعلّم القراءة والكتابة، والنهل من ميادين العلم والمعرفة، وإلى جانب الرسالة الروحية والتربوية والتعليمية للمسجد فقد قام بأدوار اجتماعية مهمة، وثقت الصلة بين المسجد وبين محيطه، يوم أن أحيا دوره فى حلّ مشكلات المجتمع، وأعاد الاهتمام بالأدوار المختلفة التى كان يقوم بها مثل: إقامة المشاريع التى تسهم فى تنمية المجتمع من تعليم الكبار، ومحو الأمية، وتبنّى مصحة للمتضررين، ومحل لعقد الزواج، وبناء دور للمشردين، وإنشاء صناديق للزكاة

وسنتعرض هنا اهم المساجد ودورها فى إثراء العادات والتقاليد للمجتمع العراقى وخاصة فى مدينة بغداد على اعتبار انها تمثل سلطة القرار فى العراق والتى كان لها دوراً مهماً فى إرساء دعائم الحياة الفكرية فى العراق أبان عهد المماليك. وهى:.

١: جامع العادلية الصغير: يعد جامع العادلية الصغير من اول الجوامع التى بنيت فى عهد عادلة خاتون وبأمر منها وذلك فى عام ١٧٤٧، يقد هذا الجامع فى محلة الدنكجية من محلات الجانب الشرقى (الرصافة) من بغداد القريبة من نهر دجلة، بالقرب من الجسر الوحيد فى بغداد آنذاك ومكانه الان هو بالقرب من جسر الشهداء الحالى.

وقال السيد محمد سعيد الراوى " هو جامع صغير واقع على يسار السالك من سوق الصفارين على طريق الجسر عند منتهى الدرب الواقع امام بناية مطبعة الحكومة و جامع مشتمل على مصلى وصفة امامه وحجرتين

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-07]

عند مدخل الباب على يسار الداخل متجهة بابها نحو القبلة، ويدار هذا الجامع من قبل المتولى عليه الذى يلى اوقاف جامع عادلة خاتون الكبير او العادلية، وهو ايضا من ابنية عادلة خاتون بنت الوزير فاتح همدان احمد باشا، وزوجة المرحوم الوزير سليمان باشا، وكان قد تداعى للسقوط فعمره متوليه إذ ذاك ابراهيم افندى المعروف بالمميز وذلك فى سنة ١٣١٨، [١٦].

ومن الملاحظ من الوقفية التى اوقفتها عادلة خاتون الى هذا الجامع والمؤرخة فى عام ١٧٤٩ " انه يُعطى عشرة آقجات الى محافظ المكتبة " مما يدل على ان لهذا الجامع مكتبة تحوى مجموعة من المصادر التى كانت محط انظار الباحثين وطالبى العلوم و كان للمسجد دور هام فى ترسيخ العادات والتقاليد الإسلامية لدى المجتمع البغدادى، فضلاً عن ذلك فقد كان له دوراً فى إرساء القيم والاعراف العشائرية العربية الاصيلة[١٧].

٢- جامع العادلية الكبير: أنشأته السيدة عادلة خاتون خلال المدة (١٧٤٩-١٧٥٤) كما دلت الكتابات الموجود فى مدخله اى بعد سنوات قليلة من إنشائها لجامع عادلية الصغير (٤٢)، تبلغ مساحته الكلية بحدود (٩٥٠) متر مربع، ومساحة حرم الصلاة بحدود (٦٠٠) متر مربع، ويستوعب حوالى (٤٠٠) مصلٍ، أما بالنسبة إلى وصف الحرم فهو مستطيل الشكل مساحته بحدود (٣٠× ٢٥ متر مربع) مبنى من الطابوق، فى حين يرتفع السقف إلى (٥) امتار، وقد زينت جدرانه من الداخل بالآيات القرآنية، فضلاً عن ذلك فانه يحتوى على منارة كبيرة ترتفع بحدود ٢٨ متراً، وقبة ومنبر من الخشب وقد وصفه السيد محمود شكرى الالوسى بقوله " فيه مصلى كبير ومنارة شامخة، فيه مدرسة فى الطابق الذى فوق الباب، وخزانة كتب، أنشأته صاحبة الخيرات عادلة خاتون بنت احمد باشا الذى تولى إيالة بغداد لاثنى عشر سنة" [١٨].

كما وصفه الشيخ عباس بن جواد البغدادى بقوله " مسجد عادلة خاتون من بنات وزراء بغداد السابقين وهو جامع جمعة وفيه مدرسة ومئذنة "، كما وصف السيد محمد سعيد الراوى الجامع بقوله " هو الجامع الواقع على شارع النهر تجاه المحكمة الشرعية يبعد عن جامع الصاغة مسافة ربع ميل وهو جامع اشتمل على مصلى واقع على يمين الداخل اليه، ومنارة عالية واقعة على الركن الغربى للمصلى، وعلى يمين المصلى رواق صغير لصلاة من فاته صلاة الجماعة فيصلى هناك منفرداً ". [١٩]

وقد الحقت عادلة خاتون بالجامع مدرسة لتدريس العلوم العقلية منها والنقلية، واختصت بالفقه الحنفى مما شجع الطلاب على الالتحاق بهذه المدرسة الجامعة مما كام له الأثر الكبير فى ترصين القاعدة الاخلاقية للمجتمع البغدادى، وكانت هذه المدرسة تشغل عدداً من الغرف فى الطابق العلوى من الجامع، وضمت اليها خزانة كتب لتكون عوناً لمدريسيها وطلبتها على حد سواء، وحددت عدد طلبتها بخمسة عشر طالباً وهو عدد كبير قياساً الى المدارس الاخرى، وقد كان المدرسون يتقاضون رواتب [٢٠]، وقد عنيت عناية فائقة بهذه المدرسة فقد كانت تشرف هى على شؤونها وادارتها، ومما تجدر الإشارة إليه أن المدرسون كانوا يؤكدون على العادات والتقاليد التى تؤكد عليها القرآن الكريم وسنة النبى الاكرم (صلى الله عليه و آله وسلم) وسيرة صحبه الاكرام [٢١].

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-07]

٣ - **جامع الامام الاعظم:** خلال عهد المماليك وتحديدا" الوالى سليمان باشا (ابو ليلة) جدد المرقد وانشئت المنارة والقبة عام ١٧٥٧م، و ذكر السيد هاشم الاعظمى فى كتابه تاريخ جامع الامام الاعظم ما نصه " لم يدون التاريخ اسماء المدرسين الذين درسوا فى مدرسة ابى حنيفة من عام ١٣٨٠ ولغاية ١٧٥٢، ولم اجد اثراً للذين تعاقبوا فى التدريس بين التاريخين، ولكنى عثرت على اسماء بعضهم ما بعد هذا التاريخ بواسطة السندات العثمانية وأولهم هو"

١. السيد عبدالله افندى مدرس جامع الامام الاعظم (رض) وجدت اسمه فى الوثيقة التاريخية الموجودة لدى كان قد وقعها بامضائه وكتب عنوان وظيفته فيها وذلك عام ١٧٥٢ اى فى عهد الوالى المملوكى سليمان باشا (١٧٤٩-١٧٦١).

٢. السيد شهاب الدين مدرس جامع الامام الاعظم (رض)، كان عالماً من اعلام الفقه واللغة وشيخاً بارزاً بين اقرانه وجدت اسمه فى الوثيقة التى كان قد وقعها وذكر فيها عنوان وظيفته وهو مدرس وذلك بتاريخ ١٧٧١، اى فى عهد الوالى المملوكى عبد الله باشا (١٧٧٦-١٧٧٨).

٣. العلامة السيد مصطفى افندى المدرس بن احمد واصله من طى، وجدت توقيعه فى وثيقة يرجع تاريخها الى عام ١١٩٥ ه والتى تقابل سنة ١٧٨٠ ووثيقة أخرى وقعها فى سنة ١٢٠٩ هـ والتى تقابل ١٧٩٥ وقد ذكر فيها عنوان وظيفته وهو مدرس اى فى عهد الوالى المملوكى سليمان باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٢)، ووجدت الامر الذى تعين فيه ايضاً مفتياً لبغداد دار السلام وذلك فى عام ١٧٩٤ [٢٢]، ومما تجدر الاشارة اليه ان السيد مصطفى افندى كان عالم فى التفسير والحديث والاصول والفقه والكلام، واسع الاطلاع بعلوم اللغة العربية [٢٣]

٤. العلامة السيد عبد الله افندى الالوسى، درس فى مدرسة ابى حنيفة النعمان اربعين عاماً توفى بمرض الطاعون عام ١٨٣٠ فى زمن على باشا اللاظ والى بغداد، على باشا (١٨٠٢-١٨٠٧)، سليمان باشا الصغير (١٨١٠-١٨٠٨)، عبد الله باشا (١٨١٠-١٨١٣)، سعيد باشا (١٨١٣-١٨١٦)، داود باشا (١٨١٦-١٨٣١) وتعد مدة تدريسه اطول مدة، والعلامة الالوسى فخر المدرسين ورئيس العلماء فى بغداد دار السلام وولده العلامة السيد محمود شكرى الالوسى [٢٤].

رابعاً: الطائفتان اليهودية والمسيحية، ومؤسساتها الدينية ودورها فى تماسك المجتمع فى العراق:

مارس اليهود العراقيون فى ظل الحكم المملوكى صلاتهم وطقوسهم اليومية فى تلك المعابد بكل حرية، الا إنهم باختلاف مذاهبهم وتعددها، سلكت بعض المذاهب مسالك كثيرة واخذت تغير فى تعاطى مع تلك المعابد بحسب الدوافع، نرى بعض معابد وبالخصوص الحاخام ببيع أماكن الصلاة على التجار، لان المعابد باستمرار بحاجة إلى الأموال فهنا يكون المكان مخصص للذى يدفع اكثر ويكون قريب من الحاخام فى المقدمة ومن بعدهم اليهود العادين من الطبقات الاجتماعية وحسب وضعهم الاجتماعى [٢٥]، وكذلك لم

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-07]

تكن بالمعابد جلسه محدد لأنها تختلف تبعا للطراز المعمارى للمعبد، وايضا تتغير نوع الصلاة بحسب نوع المذهب اليهودى فمثلا بالمعابد الارثوذكسية تتميز بالحاجز المادى الذى يفصل الرجال عن النساء وهذا الحاجز يتخذ شكل ساترا من القماش بحيث يمكن إزاحته لتداول الكتب الدينية [٢٦].

أما المعابد الاصلاحية. فيتحدد جلوس اليهود حسب انتماءاتهم الاجتماعية والطبقية فعلى سبيل المثال يجلس الحاخام او الفقيه وأصحاب المكانة الاجتماعية المرموقة فى المقدمة، ويجلس من خلفهم الأثرياء، وبعد ذلك يجلس من خلف هؤلاء اليهود البسطاء، ومن جانب آخر فان هذه المعابد الاصلاحية لا تكلف النساء من الناحية الشرعية بالذهاب الى الصلاة فى الكنيس بل تؤدى الصلاة فى البيت ولا ضير فى ذلك، ومن هنا فان هذه الكيفية التى تذكر فى صلاة الطائفة اليهودية لم نجد مثيل لها عند الديانتين المسيحية او الاسلامية وهو تقديم ذوو الجاه والاموال أو بيع مكان الصلاة إلا عند اليهود الاصلاحين لان صلاتهم تتغير تبعا للعامل السياسى كما أشارت بعض المصادر ومثل هذا العمل يفرغ مكان العبادة عن محتواه الذى هو مكان مخصص للعبادة وتلغى به الفوارق الطبقية وتنتهى به القبلية والتعصب حتى أنه يفقد المكان حيوته وثمرته يصبح كمؤسسة سياسية ربحية هما كسب الناس على اساس الوضع الاجتماعى والسياسى. لذا يذكر فى الجزء الثانى فى الموسوعة اليهود للكاتب عبد الوهاب المسيرى أن أهمية الشعائر تحدد حسب شعائر المجتمع الاغلبية [٢٧].

أما الطائفة المسيحية فقد كانت لها مجموعة من الكنائس التى انتشرت فى بغداد وبقية المدن العراقية ابان عهد المماليك منها (بيعة الميدان كنيسة السريان و كنيسة الاباء الكبوشيين وكنيسة ام الاحزان وغيرها من الكنائس) ونذكر مثاليين على هذه الكنائس وهى:.

١. كنيسة الاباء الكرمليين: افتتح هذه الكنيسة الاب عمانوئيل بابيه فى ٣/تموز /١٧٣١ على اسم القديس توما، وكان هذا القديس قد وصل إلى بغداد سنة ١٧٢٨، واسندت اليه مهمة القنصلية الفرنسية فى سنة ١٧٤١ [٢٨]، وصار اسقفاً على اللاتين سنة ١٧٤٣، وبقى فى بغداد حتى وافاه الاجل بمرض الطاعون فى عام ١٧٧٣.

٢. كنيسة القديسة مسكنته: بعد أن فقد الكلدان كنيستهم فى الميدان باستيلاء الارمن عليها، تبرعت سيدة اسمها ((حمام)) بدارها الواسعة لتكون مسكناً ومعبداً للقسس، وكانت هذه الدار ملاصقة لفناء الكنيسة الأولى فى محلة الميدان، وصادق الوالى سليمان باشا الكبير على تلك الهبة [٢٩]. يرجح بعض المؤرخين إلى أن الكنيسة قد بنيت فى تلك الدار بعد سنة ١٧٤٦، وانها اقيمت بالقرب منها كنيسة على اسم السيدة العذراء (ع) [٣٠].

وهكذا كانت المظاهر الفكرية البارزة وخاصة فيما يتعلق بقضية إرساء العادات والتقاليد فى العراق بصورة عامة وفى بغداد بصورة خاصة، وتجلت بوضوح النواحى العلمية التى برزتها وهذبتها وصقلتها حلقات المساجد ومجالس العلم وانتشرت الكتب العدية فى شتى المجلات المعرفية والعلمية [٣١]، وكانت المدارس فى بغداد عبارة عن اماكن صالحة للعلم والتعليم، وقد عنيت تلك المدارس فى تدريس العلوم والآداب والتربية، كما انها عنيت بالاختصاص فقد كان كل موضوع مدرسه المختص، وكان مجال النقاش مفتوحاً امام

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-07]

الطلاب وكانت للمناقشة بين الاستاذ والتلميذ اداب خاصة تكفل للاستاذ وقاره وهيبته ومكانته، كما تحقق للطالب طريق الفهم والتعليم [٣٢] وان المدارس العراقية قامت بإداء رسالتها التعليمية وقدمت خدمات جليلة فى نهضة العلوم الدينية فى التفسير والحديث والفقه والفرائض، والعلوم الادبية كاللغة والنحو والصرف والعروض، والعلوم الرياضية والعلوم العقلية كالمنطق وعلم الكلام والاصول والعلوم الطبيعية، واصبح لتلك المدارس شخصية بارزة فى عالم الثقافة [٣٣].

الخاتمـــة

من خلال قراءة موضوع البحث توصل الباحثان إلى عدد من الاستنتاجات وهى:

كان العراق تحت حكم المماليك الذين استولوا عليه منذ سنة ١٧٤٩م واستمروا حتى سقوط آخر ولاتهم داود باشا عام ١٨٣١ م. وقد عرف المماليك بنوع ما بحسن إدارة الأمور فى العراق، الأمر الذى جعل الناس فى العراق يميلون إليهم، كما كان للسلطات العثمانية مشاكل كثيرة فى ولاياتها المتفرقة لذلك تركت شؤون العراق لحكم المماليك، وكان العراق فى تلك المرحلة يعانى من مشاكل كبيرة، الا انه مع ذلك كان قد شهد نهضة اقتصادية واجتماعية وفكرية وثقافية، لا زالت اثارها باقية الى الان ولعل المساجد والجوامع ما هى الا شواهد تتحدث عن تاريخ تلك المرحلة من تاريخ العراق الحديث، وخاصة اذا ما علمنا انها بقيت لاكثر من ثمانين عاماً تركت بصمات واضحة فى حياة المجتمع العراقى، مع بروز شخصيات سياسية وادبية وفكرية لازال تراثهم الى الان يتناول بين ايدى المثقفين والقراء ولعل شخصية ابى ثناء الالوسى وعبد الباقى العمرى وغيرهم هى من كان لها السبق فى هذا المجال.

على الرغم من التنوع الاثينى والاجتماعى الذى كام يتميز به المجتمع العراقى آنذاك، إلا إن كل فئة أو طائفة وبغض النظر عن انتماءاتها العرقية والدينية كانت تتمتع بشخصية وحرية كاملة دون قيود أو مضايقات، وكانت سمة التعايش السلمى هى السمة التى امتاز بها المجتمع العراقى الذى تمسك وبشكل كبير فى معتقداته الدينية ولحمته الاجتماعية. وهنا برزت قضية المؤسسات الدينية ودورها الكبير فى التفاعل بين مختلف طبقات المجتمع فلم تكن هناك فوارق فى ممارسة العادات والتقاليد التى يحكمها مجتمع واحد وبيئة واحدة فكان للمسجد وللكنيس والكنيسة الدور الابرز فى الحفاظ على تماسك المجتمع العراقى ولعل شخصية الوالى داود باشا من الشخصيات التى اهتمت بالنهضة الاجتماعية والفكرية فى العراق، اذ قام بتأسيس مدارس عديدة، والاعتناء بالعلم والمكتبات الملحقة بالجوامع، ورعاية الطلبة، واعطائهم المنح والمرتبات المالية من حاصل الوقفيات المخصصة للانفاق على الطلبة والعلماء، رواد الحركة الفكرية والنهضة العلمية فى البلاد، وكانت له علاقات وطيدة مع العلماء والشعراء، ومن بينهم عبدالله الآلوسى، وعبدالرحمن الروزبهانى وعثمان بن سعد، ومحمود أبو الثناء الالوسى، وفى حقبة انكمش فيها العلم فى المساجد والمدن الدينية او يكاد، ولولا مدارس النجف وبغداد الدينية وغيرها من المدن التى غرز مفهوم القيم والتقاليد المجتمعية.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-07]

الهوامش

١. خليل البصير، الدرر المنظومة والصرر المختومة، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، بغداد، مجلة المجمع العلمى العراقى، العدد (٢٥)، ١٩٧٥، ص١٣.

٢. عماد عبد السلام رؤوف، التأريخ والمؤرخون العراقيون فى العهد العثمانى، مطبعة الثقافة العامة، الموصل، ١٩٨٧، ص٢٨.

2. Charles Trip، A History of Iraq، Cambridge، 2000، P.39.

۴. كان مجتمع العراق الشيعىّ إلى نهاية القرن السادس عشر الميلادىّ مجتمعاً عربياً على العموم، وفى ذلك الوقت سكن الكثير من الفرس فى مدن (كربلاء، والنجف، والبصرة، وبغداد، وسامراء، والحلّة) مستحوذين على قسم لا يستهان به من تجارتها، إلاّ أن الكثير من أولئك الفرس هربوا إلى ايران بعد الاحتلال العثمانىّ الثانى بغداد سنة ١۶٣٨م، الذى أسفر عن مقتل زهاء (١٧٠٠) من الفرس. للمزيد ينظر: إسحاق نقاش، شيعة العراق، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم المقدسة، ١٩٩٨، ص٢۵.

۵. كان الاحتلال الأفغانىّ (السنىّ) لأصفهان سنة ١٧٢٢م، ومحاولات نادر شاه لتشجيع التقارب السنىّ-الشيعىّ، ومصادرة الكثير من الاوقاف التى تدعم رجال الدين الشيعة فى ايران، قد شردت المئات من عوائل العلماء الذين هرب الكثير منهم إلى العراق خلال المدة المحصورة بين سنتى (١٧٢٢-١٧۶٣م). للمزيد ينظر: إسحاق نقاش، المصدر السابق، ص ص٢۶-٢٧؛ إبراهيم الموسوى الزنجانى، جولة فى الأماكن المقدسة، مؤسسة الأعلمى، بيروت، ١٩٨۵، ص٨۴

۶. إسحاق نقاش، المصدر السابق، ص٢۶؛ عباس العزاوى، تاريخ الأدب العربى فى العراق، ، ج٢، مطبعة المجمع العلمى العراقى، بغداد، ١٩۶٠م، ص١٨.

٧. عبد الرزاق الهلالى، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٧٢، ص١٧٩؛ عبد الله محمد الحسينى، مصادر الفكر العربى الاسلامى فى الجزيرة العربية، مطبعة حضرموت، صنعاء، ١٩٨١، ص۴١٧.

٨. محمد صادق الكرباسى، دور المراقد فى حياة الشعوب والامم، مطبعة الكفيل، كربلاء المقدسة، ٢٠١۵، ص ٢۵.

٩. منذر عبد المجيد البدرى، جغرافية الاقليات الدينية فى العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافية، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٧۵، ص١۴٩.

١٠. عباس فرحان ظاهر، الحياة الاجتماعية فى مدينة بغداد ١٩٣٩-١٩۵٨ دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد عام ٢٠٠٣، ص ٨٢

١١. على الوردى، دراسة فى طبيعة المجتمع العراقى، مطبعة العانى، بغداد، ١٩۶۵.، ص٢٩٢.

١٢. طارق نافع الحمدانى، ملامح سياسية وحضارية فى تاريخ العراق الحديث والمعاصر، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩، بيروت، ص٣۵.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-07]

١٣. طارق نافع الحمدانى، المصدر السابق، ص٣٦.

١٤. يونس الشيخ ابراهيم السامرائى، تاريخ مساجد بغداد الحديثة، ط١، مطبعة الامة، بغداد، ١٩٧٧، ص ص٤٢-٥٥.

١٥. سوسن عبد العزيز عبد الوهاب، التطورات الاجتماعية فى العراق ١٩٥٨-١٩٦٣، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالى للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٤، ص ٤٦.

١٦. عماد عبد السلام رؤوف، عادلة خاتون صفحة من تاريخ العراق، ط١، مكتبة الجواد للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٩٧، ص ٣٥.

١٧. مجهول، السلام بعد العصور العباسية، د.مط، بغداد، ١٩٥٨، ص١٤١-١٤٢.

١٨. عماد عبد رؤوف، عادلة خاتون، ص٤٠.

١٩. المصدر نفسه، ص٤١.

٢٠. المصدر نفسه، ص٤٣.

٢١. المصدر نفسه، ص٤٦.

٢٢. هاشم الاعظمى، تاريخ جامع الامام الاعظم ومساجد الاعظمية – خاص بجامع الامام ابى حنيفة ومدرسته العلمية، ج١، د.مط، بغداد، ١٩٦٤، ص٩٧.

٢٣. المصدر نفسه، ص ٩٨.

٢٤. غادة حمدى عبد السلام، اليهود فى العراق ١٨٥٦- ١٩٢٠، مطبعة مكتبة مدبولى، القاهرة، ٢٠٠٨، ص٥. وكذلك ينظر: سعد سلمان المشهدانى، تاريخ الطائفة اليهودية فى العراق، مجلة مسارات، العدد ١٣، السنة الرابعة، ٢٠٠٩، ص٢٨.

٢٥. جمال الدين احمد بن على الحسينى ابن عنبة، عمدة الطالب فى انساب آل أبى طالب، عنى بتصحيحه محمد حسن الطالقانى، دار الاندلس، النجف، د. ت، ص ٣٠٧ -٣٠٩.

٢٦. حمد الله بن أبى بكر القزوينى، نزهة القلوب، طهران، ١٣٣٦هـ ش، ج٣، ص ٤٨.

٢٧. ابن بطوطة، تحفة الأنظار فى غرائب الأمصار، ج١، المطبعة العصرية التقدمية، القاهرة، ١٩٤٨، ص ٢٢٠.

٢٨. عباس فرحان ظاهر، المصدر السابق، ص ٨٥.

٢٩. محمود فهمى درويش وآخرون، دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠، مطبعة العانى، بغداد، ١٩٦١، ص٤٢٦.

٣٠. يوسف يحيى طعماس، التوزيع المكانى لاستعمالات الارض الدينية فى مدينة بغداد، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص ص٥٦-٦٠.

٣١. بطرس حداد، كنائس بغداد عبر التاريخ، مجلة بين النهرين، العدد ٣٢، السنة الثامنة، ١٩٨٠، ص ٤٢٤.

٣٢. قام الباحثان بزيارة مكان الكنيسة فى منطقة الميدان بالعاصمة بغداد، وهى الان بنيت مكانها كنيسة وتقع بالضبط خلف دار الكتب والوثائق العراقية من جهة اليمين على مسافة اقل من ((مئة متر))

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-07]

۳۳. بطرس حداد، المصدر السابق، ص ص۴۲۵.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-07]

المصادر والمراجع

اولاً: الكتب العربية والمعربة:

ـ إبراهيم الموسوى الزنجانى، جولة فى الأماكن المقدسة، مؤسسة الأعلمى، بيروت، ١٩٨٥.

ـ ابن بطوطة، تحفة الأنظار فى غرائب الأمصار، ج١، المطبعة العصرية التقدمية، القاهرة، ١٩٤٨.

ـ إسحاق نقاش، شيعة العراق، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم المقدسة، ١٩٩٨.

ـ جمال الدين احمد بن على الحسينى ابن عنبة، عمدة الطالب فى انساب آل أبى طالب، عنى بتصحيحه محمد حسن الطالقانى، دار الاندلس، النجف، د. ت.

ـ حمد الله بن أبى بكر القزوينى، نزهة القلوب، طهران، ١٣٣٦هـ ش، ج٣.

ـ طارق نافع الحمدانى، ملامح سياسية وحضارية فى تاريخ العراق الحديث والمعاصر، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩، بيروت.

ـ عباس العزاوى، تاريخ الأدب العربى فى العراق، ، ج٢، مطبعة المجمع العلمى العراقى، بغداد، ١٩٦٠م.

ـ عبد الرزاق الهلالى، تيارات ثقافية بين العرب والفرس، بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٧٢.

ـ عبد الله محمد الحسينى، مصادر الفكر العربى الاسلامى فى الجزيرة العربية، مطبعة حضرموت، صنعاء، ١٩٨١.

ـ على الوردى، دراسة فى طبيعة المجتمع العراقى، مطبعة العانى، بغداد، ١٩٦٥.

ـ عماد عبد السلام رؤوف، التأريخ والمؤرخون العراقيون فى العهد العثمانى، مطبعة الثقافة العامة، الموصل، ١٩٨٧.

ـ _____، عادلة خاتون صفحة من تاريخ العراق، ط١، مكتبة الجواد للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٩٧.

ـ غادة حمدى عبد السلام، اليهود فى العراق ١٨٥٦- ١٩٢٠، مطبعة مكتبة مدبولى، القاهرة، ٢٠٠٨.

ـ مجهول، السلام بعد العصور العباسية، د.مط، بغداد، ١٩٥٨.

ـ محمد صادق الكرباسى، دور المراقد فى حياة الشعوب والامم، مطبعة الكفيل، كربلاء المقدسة، ٢٠١٥.

ـ محمود فهمى درويش وآخرون، دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠، مطبعة العانى، بغداد، ١٩٦١.

ـ هاشم الاعظمى، تاريخ جامع الامام الاعظم ومساجد الاعظمية – خاص بجامع الامام ابى حنيفة ومدرسته العلمية، ج١، د.مط، بغداد، ١٩٦٤.

ـ يونس الشيخ ابراهيم السامرائى، تاريخ مساجد بغداد الحديثة، ط١، مطبعة الامة، بغداد، ١٩٧٧.

ثانياً: الرسائل والاطاريح الجامعية:

ـ سوسن عبد العزيز عبد الوهاب، التطورات الاجتماعية فى العراق ١٩٥٨-١٩٦٣، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالى للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٤.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-07]

ـ عباس فرحان ظاهر، الحياة الاجتماعية فی مدينة بغداد ۱۹۳۹-۱۹۵۸ دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد عام ۲۰۰۳.

ـ منذر عبد المجيد البدری، جغرافية الاقليات الدينية فی العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافية، كلية الاداب، جامعة بغداد، ۱۹۷۵.

ـ يوسف يحيی طعماس، التوزيع المكانی لاستعمالات الارض الدينية فی مدينة بغداد، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ۱۹۹۷.

ثالثاً: الدوريات:

ـ بطرس حداد، كنائس بغداد عبر التاريخ، مجلة بين النهرين، العدد ۳۲، السنة الثامنة، ۱۹۸۰.

ـ خليل البصير، الدرر المنظومة والصرر المختومة، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، بغداد، مجلة المجمع العلمی العراقی، العدد (۲۵)، ۱۹۷۵.

ـ سعد سلمان المشهدانی، تاريخ الطائفة اليهودية فی العراق، مجلة مسارات، العدد ۱۳، السنة الرابعة، ۲۰۰۹.

رابعاً: كتاب باللغة الانكليزية:

__ Charles Trip، A History of Iraq، Cambridge، 2000.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-07-07]